(130) وصفوة القول: إنّ ما نبغيه هنا هو التتلمذ على القرآن واتّخاذه إماماً ومعلماً لنا في هذا المجال لا ما يقوله الحكماء والفلاسفة والعلماء نعم لو طابق شيء من كلامهم مع ما ذهب إليه القرآن واستدل به أشرنا إليه، وقلنا انّ هذا الاستدلال يشير إلى دليل النظم أو الإمكان أو ... وفي كل ذلك نستعين اللّه على فهم مراد كتابه ومفاهيمه، وهو ولي التوفيق. لا ريب أنّ "فقر" الشيء دليل قاطع على احتياجه إلى "غني قوي" يزيل حاجته، ويمسح عن وجهه غبار الاحتياج والافتقار، فما لم تمتد يد من الخارج إلى ذلك الشيء لم يرتفع فقره، ولم يندحر احتياجه. تلك حقيقة لا يمكن أن يجادل أو يشك في أمرها أحد. من هنا لا بد أن يكون لهذا الكون ـ بأسره ـ من أفاض عليه الوجود . فالظواهر الكونية من الذرة إلى المجرة مقرونة بـ "الفقر الذاتي" .. فجميعها مسبوقة بالعدم، ولهذا فهي تحتاج في تحقّقها ووجودها إلى "غني" يطرد عنها غبار العدم، ويلبسها حلّة الوجود . افترض ـ للمثال ـ أيّة ظاهرة شئت تجد أنّها قبل أن ترتدي حلّة الوجود كانت تختفي خلف حجاب العدم وتنغمس في ظلماته، ثم استطاعت ـ في ظل قدرة فعّالة ـ أن تمزّق حجب العدم ، وتشق طريقها إلى عالم الوجود . ومن المعلوم أنّه لو لم يكن ثمت غني باسم "العلة" لما قدر لهذه الظاهرة المعدومة ـ أصلاً ـ أن تدخل إلى ساحة الوجود، ذلك لأنّ نسبة أي شيء ممكن يتصوّره الذهن، إلى الوجود والعدم سواء، بمعنى أنّه كما لا يترجح وجوده ذاتياً كذلك لا يترجح عدمه ذاتياً أيضاً.